« ٣ »

المغيرةُ بنُ شعبة للمعضلات

«لو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج
منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها»

[قبيصة بن جابر]

◘ المغيرة بن شعبة فى كلمات ◘

(٠٠ ـ ٥٠ هـ ـ ٠٠٠ ـ ٦٧٠ م)

هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو عيسى، أو أبو محمد[١] .

قال الطبرى : يكنى أبا عبد الله .

قال : وكان ضخم القامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، أصهب الشعر جعده ، وكان لا يفرقه . ولد بالطائف بالحجاز . وأسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وله فيها ذكر ، وذهبت عينه فى اليرموك .

قال ابن سعد : كان يقال له : مغيرة الرأى .

وشهد اليمامة ، وفتوح الشام والعراق .

◄ دهاؤه ومكـره :

وقال الشعبى : كان من دُهاة العرب!

وقال قبيصة بن جابر : صحبت المغيرة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب ، لا يخرج منها إلا بالمكر ، لخرج المغيرة من أبوابها كلها .

ولاه عمر على البصرة ففتح عدة بلاد ، ثم عزله بعد اتهام وجه إليه ، ثم ولاه الكوفة ، وأبقاه عثمان عليها ، ثم اعتزل الحرب بين على ومعاوية ، وحضر مع الحكمين .

وكان المغيرة بن شعبة من أعوان معاوية ، ولذا ولّاه الكوفة .

والكوفة والبصرة آنذاك أكثر البلاد عداء للأمويين ، ولهذا كان يُختار لهما أقوى الوُلاة ، وأكثرهم إخلاصاً . وكان «المغيرة بن شعبة» من أحسن الولاة الذين ساسوا الكوفة ؛ لأنه استطاع أن يضمن الطاعة لمعاوية بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء .

وقد كشف عن سياسته بقوله : «لا أحب أن أبدأ أهل المِصر بقتل

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة .

خِيارهم ، وسفك دمائهم ؛ فيسعدَ الخليفة بذلك وأشقى ، ويعز فى الدنيا معاوية ، ويذل المغيرة فى الآخرة !

ولكنّى قابل من مُحْسِنهم .. وعافٍ عن مسيئهم .. وحامدُ حليمهم .. وواعظُ سفيههم .. حتى يُفرق بيننا الموت ! » .

ولعل مما يؤخذ على المغيرة استمراره على الطعن فى على واللعن له !!

ولعل ذلك كان أساساً لسياسة ذلك العصر .

وقد ظل «المغيرة» والياً على الكوفة حتى مات سنة ٥١ هـ وعندئذ ضم معاوية ولاية الكوفة إلى والى البصرة ذى اليد الحديدية والقلب القاسى : «زياد بن أبيه» . وللمغيرة فى الصحيحين ١٣٦ حديثاً .

◘ قبيلة المشاهير .... ◘

هى قبيلة ثقيف .. تلك القبيلة العربية الكبيرة التى سادت فى الطائف فى العصر الجاهلى ، وكانت منزلتها فى الطائف على مثال مكانة قريش فى مكة .

وقد سجل التاريخ حياة مشاهير قبيلة ثقيف وعلى رأسهم :

١ ــ أبو عبيد بن مسعود والد المختار الثقفى الذى كان من أبرز المجاهدين وكبار قواد الجيوش الإسلامية التى توجهت لفتح العراق فى مطلع خلافة عمر بن الخطاب .

٢ ــ وعروة بن مسعود عم المختار الثقفى وأحد سادات ثقيف ، وكان كبير قومه بالطائف ، وقيل : إنه المراد بما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ [الزخرف : ٣١]

٣ ــ والمغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب الأربعة ووالى معاوية فى العراق .

٤ ــ والمختار بن أبى عبيد الثقفى أحد الأعلام فى العصر الأموى .

٥ ــ والحجاج بن يوسف الثقفى عضد الدولة الأموية فى عهد الخليفتين : عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك .

٦ ـ ومحمد بن القاسم الثقفى القائد الحربى المشهور ، وفاتح الهند المعروف .

٧ ـ ويوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أواخر العصر الأموى .

هى إذن قبيلة الأبطال والقواد والأعلام والمشاهير ..

قبيلة ثقيف بالطائف .. تلك التى أنجبت لنا «المغيرة بن شعبة» أحد دهاة العرب فى الإسلام! إنه من ثقيف المشهورة فى الجاهلية والإسلام بقوة الدهاء، وسَعة الحيلة ، ومضاء العزيمة !

◘ المغيرة بن شعبة بين رجالات ثقيف ! ◘

وهكذا اشتهرت قبيلة ثقيف بأنها تنجب رجالاً امتازوا بالذكاء والدهاء والفطنة ؛ فيروى ابن هشام أن الرسول ـ ﷺ ـ حين حاصر مدينة الطائف سنة ٨ هـ انضم إلى جيشه عيينة الفزارى ، لا لكى يقاتل ثقيفاً ، ولكنه كان يأمل أن يتم للنبى ـ ﷺ ـ فتح الطائف ، فيصيب هو جارية يتبطنها ؛ لعلها أن تلد له رجلاً فطناً ؛ لأن ثقيفاً كما يقولون : «قوم مناكير» يعنى : أنهم دهاة فطنون .

أما «عُيينة» نفسه ، فلم يرث دهاء ، ولا يستطيع أن يورثه[1].

أنجبت الطائف كثيراً من رجالات العرب الذين لعبوا دوراً كبيراً فى تاريخ صدر الإسلام ، فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين وقد أجمع المؤرخون على تمجيد هؤلاء الثقفيين ، وفى مقدمتهم : المؤرخ الألمانى : «فلهوزن» الذى قال : ارتفع شأن الطائف ، كما ارتفع شأن مكة والمدينة بفضل الإسلام ، واتخذت الطائف من حيث هى مدينة ، موقفاً ممتازاً فوق عصبيات القبائل ، كما تجلى ذلك أيام الردّة سنة ١١ هـ .

وقد انضم الثقفيون من أول الأمر ـــ خلافاً للأنصار ـــ انضماماً نهائياً إلى قريش صاحبة السيادة ، وخصوصاً إلى الأمويين ، وكان لهؤلاء صلات وثيقة بالطائف ، وكانوا فيها أصحاب ثراء .

---

(١) سيرة ابن هشام [ص ٨٧٤] طبعة أوربا .

وكان الثقفيون مشهورين بالدهاء والفطنة ، وقد أقاموا الدليل على ذلك ، وقد ظهر منهم فى عصر الأمويين عدد كبير من ذوى المواهب ، وغيرهم من الرجال المبرزين[1] .

ولقد كانت قريش تضم بيتين كبيرين متنافسين : البيت الأموى ، والبيت الهاشمى .

وكان العلويون أبرز بنى هاشم ، ودخل الثقفيون فى طاعة الفرع الأموى دون الفرع الهاشمى عدا المختار الثقفى الذى نبذ طاعة الدولة الأموية ، وظل مخلصاً لآل على بن أبى طالب حتى مصرعه !

أما سائر بنى ثقيف مثل : المغيرة بن شعبة ، والحجاج بن يوسف ، ومحمد بن القاسم ، وغيرهم فكانوا من أبرز ولاة وقواد بنى أمية ، وتمسكوا بولائهم للدولة الأموية ، بما فيهم «زياد» الذى أعلن ولاءه لمعاوية بعد ولايته .

وعلى الرغم من أن قبيلة «ثقيف» ترتبط بمدينة «الطائف» إلا أن رجالات ثقيف ارتبطوا فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ببلاد العراق . فقد شهدت هذه البلاد أمجاد الثقفيين ، وأصبح تاريخها فى الحقيقة تاريخ هؤلاء الثقفيين .

فقد تولى المغيرة بن شعبة الثقفى حكم الكوفة فترة طويلة ، كما حكم «زياد ابن أبيه» ــ وينسبه بعض المؤرخين إلى ثقيف ــ البصرة والكوفة فى خلافة معاوية ابن أبى سفيان ، ونجح فى توطيد الحكم الأموى فى بلاد العراق .

والمغيرة أحد دهاة العرب الأربعة ، ومنهم زياد . وقد وصف السيوطى دهاء المغيرة بقوله :

« ... فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر ، لخرج من أبوابها كلها »[2] .

وإن كان فى المغيرة بن شعبة طموح وآمال عريضة ، ورغبة فى الوصول إلى السلطة والنفوذ يشارك فيها غيره من الثقفيين ، **إلا أنه كان يختار طريقاً مأموناً**

---

(١) تاريخ الدولة العربية [ص ١٠٧] .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٣٦ . ونسبت هذه العبارة إلى قبيصة بن جابر .

سهلاً ، وإن شئت فقل : إنه كان يرى أن يلعب الدور الثانى لا الدور الأول ، وأن يكون تابعاً لا متبوعاً ، فعمل على أن يكسب رضا الخلفاء ، فيعهدوا إليه بحكم بعض البلاد حيث يحقق آماله فى السيادة والنفوذ . وبذل كل جهد فى سبيل الاحتفاظ بما وصل إليه من سلطان ، دون أن يبذل جهده فى أن يؤدى واجبه المنوط به على أكمل وجه !!

وقد أجمع المؤرخون : **على أن المغيرة بن شعبة كان سهلاً ليناً حيث كان يجب أن يتخذ الشدة** .

وينسب الطبرى هذا التساهل إلى حب المغيرة للسلام والعافية[1] .

أما «فلهوزن» فيفسره بقوله :

لم يستأصل المغيرة الشرَّ فى بدايته ، وقبل أن يستفحل، بل تركه يشتد ويعظم؛ لأنه كان يعرف أنه لا يعيش حتى يواجه هذا الخطر بعد استفحاله ، وكان لا يهدف إلا للمحافظة على حياته تاركاً هذه الأخطار ليتداركها من يخلفه ، على الرغم من أن هذا يعتبر جزءاً من وظيفته ، ولكنه هدف أن يستفيد من ولايته أكبر فائدة ممكنة وحتى النهاية !

ويرجع «لا منس» تساهل المغيرة إلى كبر سنه ويقول : إنه لو كان أصغر سناً لما تردد فى مواجهة هذه الصعوبات بالقوة ، ولكن حب المغيرة للعافية أنساه أنه خاضع للأمويين أما «بروكلمان» فيرجع هذا التساهل إلى أخلاق المغيرة الشخصية فهو يصفه بأنه : «رجل انتهازى لاذمة له ولاذمام»[2] .

◄ *بداية ونهاية !*

بدأ المغيرة حياته السياسية سنة ٩ هـ حينما عهد إليه الرسول ـــ ﷺ ـ بهدم صنم اللات فى مدينة الطائف .

واشترك فى فتوح العراق فى خلافة عمر بن الخطاب .

وولاه عمر بن الخطاب حكم البصرة بعد وفاة أول والٍ لها وهو عتبة بن

---

(١) تاريخ الطبرى [جـ ٦ ص ١٥٠] .

(٢) المختار الثقفى . د. على حسن الخربوطلى .

غزوان ، فنظم ديونها ، وفتح ميسان والأهواز ، وشهد موقعة نهاوند .

ثم عزل عن حكم البصرة، ولكنه عاد إلى حكم الكوفة بعد فترة قصيرة سنة ٢١ هـ .

وفى عهده تمت فتوحات بلاد ميديا وأذربيجان[١] ويروى المؤرخون أن المغيرة كان أول من اقترح على عمر بن الخطاب أن يتخذ لقب «أمير المؤمنين» .

وكان المسلمون ينادونه : بيا : «خليفة خليفة رسول الله» .

◄ جوانب مضيئة من حياته :

صحب النبى ـ ﷺ ـ، وشهد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ إلى أهل النجيرة[٢] .

وشهد فتح اليمامة ، وفتوح الشام .

وكان أعور أصيبت عينه فى يوم اليرموك .

وشهد القادسية مع سعد بن أبى وقاص ، فلما أراد مراسلة «رُستم» لم يجد فى العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفير بينهما حتى وقعت الحرب .

وولاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عدة ولايات :

إحداها : البصرة ، ففتح وهو واليها «ميسان»[٣] ، ودست ميسان وأبرقُباذ .

وقاتل الفُرس بالمرغاب[٤] ، فهزمهم ، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها ، وانحازوا إلى نهر تيرى[٥] ، ومناذر الكبرى ، فزحف إليهم فقاتلهم ، وهزمها وفتحها .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان [ص : ٣٣٤] .

(٢) النجيرة : حصن باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الرّدة مع الأشعث بن قيس فى سنة ١٢ للهجرة .

(٣) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان .

(٤) المرغاب اسم نهر بمرو الشاهجان واسم نهر بالبصرة . وهى هنا قرى من قرى هراة .

(٥) بلد من نواحى الأهواز حفرة أردشير الأصغر بن بابك .

وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرِّن[1] ، وكان المغيرة على ميسرته ، وكان عمر قد عهد ؛ إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة[2] ، فإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة بن شعبة .

ولما فتحت «نهاوند»[3] سار المغيرة فى جيش إلى همذان ففتحها .

وولاه عمر ـ رضى الله عنه ـ بعد ذلك الكوفة ، فقُتِل عمر وهو واليها ، وأقره عثمان ثم عزله ، فلما قُتِل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين ، ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه .

وولاه ـ أيضاً ـ معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ إياها فكان عليها إلى أن مات بها سنة خمسين على الأكثر .

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان ، ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه .

قال الطبرى : كان لا يقع فى أمر إلا وجد له مخرجاً ، ولا يلتبس عليه أمران .

وقال الطبرى ـ أيضاً ـ: كان مع أبى سفيان فى هدم طاغية ثقيف بالطائف .

◄ المغيرة يغضب لأبى بكر ! وأبو بكر يحميه !

يحكى المغيرة بن شعبة فيقول : كنت جالساً عند أبى بكر إذ عُرض عليه فرس

---

(١) من الأمراء القادة صحابى فاتح ، كان معه لواء «مزينة» يوم فتح مكة ، سكن البصرة ، ثم تحول عنها إلى الكوفة ، ووجهه سعد بن أبى وقاص ـ بأمر عمر ـ إلى محاربة الهرمزان ، فزحف بجيش الكوفة إلى الأهواز ، وهزم الهرمزان ، وتقدم إلى «تستر» فشهد وقائعها ، وعاد إلى المدينة بشيراً بفتح «القادسية» . غزا «أصفهان» ففتحها وهاجم نهاوند واستشهد فيها ، فبكاه عمر سنة ٢١ هـ . [الأعلام : ج ٨ ص ٤٢] .

(٢) صحابى من الولاة الفاتحين كان صاحب سر النبى ـ ﷺ ـ فى المنافقين توفى سنة ٣٦ هـ [الأعلام] .

(٣) نهاوند : مدينة عظيمة جنوبىّ همذان بينهما ثلاثة أميال .

له ، فقال له رجل من الأنصار : احملنى عليها .

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُرْلته[1] أحب إلىّ من أن أحملك عليها ، فقال له الأنصارى : أنا خير منك ومن أبيك !

قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فتوعدنى الأنصار ، فبلغ ذلك أبا بكر فقام ، فقال : أما بعد : فقد بلغنى عن رجال منكم زعموا أنى مُقيدهم من المغيرة بن شعبة .

ووالله لأن أخرجهم من دارهم أقرب إليهم من وَزَعَةِ[2] الله الذين يزعون إليه[3] .

(١) الغُرْلة : القلفة . ويريد أبو بكر أن الغلام المدرب على ركوب الخيل من صغره قبل أن يختن أفضل من الكبير الذى ليست لديه خبرة بركوب الخيل .

(٢) الوزعة : جمع وازع ، وهو الذى يكف الناس عن الإقدام على الشر .

(٣) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .

المغيرة بن شعبة فى مرآة الأصفهانى

يقول أبو الفرج الأصفهانى :

كان المغيرة بن شعبة من دُهاة العربِ وحَزَمتها ، وذوى الرأى منها ، والحِيَل الثاقبة !

وكان يقال له فى الجاهلية والإسلام :

«مُغيرة الرَّأى»

وكان يقال :

ما اعتلج فى صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

[الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى]

◘ المغيرة وعمه ! ◘

رأى المغيرة بن شعبة عمّه عروة بن مسعود الثقفى ـ وكان أحد أكابر ثقيف فى الجاهلية[1] ـ يكلم النبى ـ ﷺ ـ ويتناول لحيته يمسها ، فقال :

أمسك يدك عن لحية النبى ـ ﷺ ـ قبل ألا تصل إليك .

فقال عروة : ياغُدَر ، وهل غسلت رأسك من غَدْرتك إلا بالأمس ؟

وكان قد خرج مع سبعة نفر من بنى مالك إلى مضر ، فعدا عليهم فقتلهم جميعاً وهم نيام ، واستاق العِير ، ولحق برسول الله ـ ﷺ ـ تائباً راغباً فى الإسلام !

◘ سفارة المغيرة بن شعبة ◘

عندما وجّه عمر ـ رضى الله عنه ـ « سعد بن أبى وقاص » على رأس جيش تزيد عدته على ثلاثين ألفاً ليقضى على سلطان الفرس فى العراق كله ..

فلما اشتدت غارات العرب على السواد من أسفله إلى أعلاه ، وبعث مرازبته[2] ودهاقينه[3] إلى «يزد جرد» أنه إن لم يُنْجدهم نزلوا على أمر المسلمين طائعين أو كارهين زال من نفسه كل تردد وأمر «رستم» فسار إلى «ساباط» وعلم سعد بمسيرته ، فكتب إلى عمر ، فرد عليه عمر : «لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالاً من أهل المنظرة والرأى والجَلَد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً عليهم» .

لقد أمره أن يبعث إلى صاحب الفرس من يناظرونه ويدعونه ، وكان «المغيرة

---

(١) أسلم وشهد الحديبية ، ودعا قومه إلى الإسلام فعصوه ، ورماه واحد منهم بسهم فقتله . [الإصابة : ٢٣٨٤] .

(٢) المرازبة : جمع مَرْزُبان : رئيس الفرس ، أو الفارس المقدم على القوم .

(٣) الدهاقين : جمع دُهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم ، والقوى على التصرف مع شدة خبرة .

ابن شعبة» عضواً فى ذلك الوفد من أهل الرأى والسياسة والشجاعة .

وعندما تساءل «يزدجرد» عن سرّ قدومهم رد عليه «النعمان بن مقرّن» ، فكَبُر على «يزدجرد» أن يسمع مثل ذلك القول ، فقال : «إنى لا أعلم أمة فى الأرض كانت أشقى ، ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم .. إلخ ما قال .

وسمع الوفد هذه المقالة فسكتوا . عند ذلك قام «المغيرة بن شعبة» فقال :

أيها الملك ، هؤلاء رءوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرّم الأشراف ويُعظم حقَّهم الأشرافُ ، وليس كلُّ ما أُرسلوا به قالوه ، ولا كلّ ما تكلمتَ به أجابوك عنه ، فجاوبنى لأكون الذى أبلغك وهم يشهدون على ذلك لى ..

ثم قال : اختر إن شئت : الجزية ، وإن شئت السيف ، أو تُسْلم فتنجى نفسك» .

لم يطق «يزدجرد» الصبر على ما سمع ، فقال وقد أخذ منه الغضب : «لولا أن الرسل لا تُقْتَل لقتلتكم . لا شىء لكم عندى» .

ويتفق المؤرخون جميعاً على رواية ما حدث بين يزدجرد ووفد سعد ، ولا يقع بينهم خلاف إلا فى بعض العبارات التى تبادلها الفريقان .

وفى صحيح البخارى فى قصة النعمان بن مُقَرن فى قتال الفرس ـ أنه كان رسول النعمان إلى امرىء القيس ، وشهد تلك الفتوح .

عمر بن الخطاب فى رأى المغيرة :

ذكر المغيرة عمرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أفضل من أن يَخدَع ، وأعقل من أن يُخْدَع !

وما رأيت مخاطباً له إلا رحمتُه كائناً من كان!

◄ لماذا ولاه عمر الكوفة ؟

قال له عمر ـ رضى الله عنه ـ ما أدرى كيف أعامل أهل الكوفة ؟ إن أرسلت إليهم مؤمناً ضَعّفُوه[1] .

وإن أرسلت إليهم قوياً فجّروه[2] .

فقال المغيرة : ياأمير المؤمنين ، الضعيف إيمانه له ، وعليك ضعفُه .

والفاجر قوته لك ، وعليه فجورُه ؛ فولاه الكوفة[3] .

◄ عمر بن الخطاب يكشف أوراق المغيرة !

◄ قال المدائنى :

قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ ألا تتزوج أُمّ كلثوم بنت أبى بكر ، فتحفظه بعد وفاته ، وتخلفه فى أهله ؟!

فقال عمر : بلى . إنى لأحب ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُدْ إلىّ بجوابها ، فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حُبًّا وكرامة !

ودخل إليها بعقب ذلك «المغيرة بن شعبة» ، فرآها مهمومة ، فقال لها : مالك ياأم المؤمنين ؟

فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إن هذه جارية حَدَثَة[4] ، وأردت لها ألْينَ عيشاً من عمر .

فقال لها : عَلَىّ أن أكفيك

وخرج من عندها ، فدخل على عمر ، فقال : بالرِّفاء والبنين[5] . قد بلغنى ما أتيته من صِلة أبى بكر فى أهله ، وخطبتك أم كلثوم .

---

(١) نسبوا إليه الضعف .

(٢) نسبوه إلى الفجور .

(٣) محاضرات الأدباء [١٠١/١] .

(٤) صغيرة السن .

(٥) دعاء بالالتئام والبركة . قال ابن السِّكِّيت : وإن شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمأنينة .

فقال : قد كان ذاك .

قال : إلا أنك ياأمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها ؛ فتصيح ، ياأبتاه ! فيغمك ذلك ، وتتألم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها فى كل يوم .

فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقنى ؟! فقال : آنفاً .

فقال عمر : أشهد أنهم كرهونى ، فتضمنت لهم أن تصرفنى عما طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها[1] .

◄ المغيرة والموالى :

لعب المغيرة بن شعبة دوراً فى تاريخ الموالى بطريق غير مباشر ؛ فقد لقى عمر ابن الخطاب مصرعه على يد «أبى لؤلؤة المجوسى» مولى المغيرة ؛ فقد قتله بخنجر فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

وكان مقتل عمر على يد رجل من «الموالى» يبين مدى الاستياء والسخط اللذين استوليا على نفوس هؤلاء الفُرس بعد زوال سلطانهم ، ودخولهم فى حوزة العرب ، كما أدى إلى تغير كبير فى معاملة الموالى ، فقد بدأ ولاة العراق فى التفرقة فى المعاملة بين العرب والموالى حتى إذا كان عصر المختار ، كان الموقف قد أوشك على الانفجار ، واستفاد المختار من سوء أحوال الموالى ، وأصبح محرراً ومنقذاً لهم .

◄ المغيرة ومسرح الأحداث :

ابتعد المغيرة عن مسرح الأحداث فى خلافة «عثمان بن عفان» ، حتى إذا تولى «على بن أبى طالب» ــ رضى الله عنه ــ وبدأ عهده بعزل ولاة عثمان من حكم الأمصار الإسلامية تقدم إليه بنصحه بأن يُبقى «معاوية» والياً على الشام على أن يأخذ البيعة له وإليك مزيداً من التفاصيل :

---

(١) نسب الأستاذ العقاد هذه القصة إلى « عمرو بن العاص » ، ونسبها المدائنى هنا مع اختلاف فى اللفظ إلى «المغيرة بن شعبة» ، وكلاهما داهية ، وإن دلت على شىء فإنما تدل على حدوثها ولنا فيها درس من دروس الدهاء .

◄ على ـ رضى الله عنه ـ يرفض نصيحته !

جاء المغيرة إلى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقال له : اكتب إلى معاوية فوَلِّه الشام ، ومُرْه بأخذ البيعة لك ؛ فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك .

فقال على ـ رضى الله عنه ـ: «ما كنت متخذ المضلين عَضُدا»[1] .

فانصرف المغيرة وتركه ! فلما كان من غد جاءه ، فقال : إنى فكرت فيما أشرت به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب .

فقال له على : لم يخفَ علىّ ما أردت ؛ قد نصحتنى فى الأولى ، وغششتنى فى الآخرة ، ولكنى ـ والله ـ لا آتى أمْراً أجد فيه فساداً لدينى ، طلباً لصلاح دُنْيَاى . فانصرف المغيرة .

ويروى ابن حبان فى روضة العقلاء أن «المغيرة بن شعبة» وهو المعروف بدهائه وبعد نظره أشار على علىّ أن يُقِرّ معاوية على الشام تسمح له طاعته .

قال : فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ووليهم عشرين سنة ، لم يعتبوا عليه ، ولم يُعْتِبوه[2] فى عِرْض ولا مال .

فقال على : «والله لو سألنى قرية ما وليته إياها» .

قال المغيرة : «أراه سَيَلى أَرَضين وقَرْيات» .

وكان الأمر كما تَوَقّع المغيرة ، وما قدَر علىّ ـ على ثقوب ذهنه ، وكثرة علمه ـ أن يُقَدّر قوة خصمه فاحتقره ، ورأى أن دينَه يمنعه من أن يُقِرّه ، وهو يعتقد فى إقراره الضّرَر له وللجماعة !

وعندما رأى «المغيرة» أن عليًّا ـ رضى الله عنه ـ لم يستمع إلى مشورته ، انصرف غاضباً إلى معاوية ، ثم وقف إلى جانبه خلال التحكيم !

وتلقى من معاوية المكافأة على تأييده له ، فعندما تولى الخلافة معاوية فى سنة ٤٠ هـ ولاه الكوفة .

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ [سورة الكهف : الآية ٥١] .

(٢) أعتبه : سره بعدما ساءه .

◙ المغيرة بن شعبة والجولة الأخيرة فى الصراع ! ◙

لم يكن قرار الحكمين خافياً على من عرفوا «أبا موسى الأشعرى» و «عمرو ابن العاص» ؛ فإن أبا موسى لم يكتم قط أن السلامة فى اجتناب الفريقين والقعود عن القتال ، فليس أيسر من إقناعه بخلع صاحبه وخلع معاوية على السواء .

ثم يرجع الرأى إلى عمرو بن العاص فى إقرار هذا الخلع ، أو الاحتيال فيه بالحيلة التى ترضيه .

ويقول الأستاذ العقاد فى «عبقرية الإمام» : إلا أن الدهاة من العرب كانوا يتوقعون من «عمرو» أن يحتال لنفسه حتى يفرغ وسعه قبل أن يحتال لصاحبه الذى أنابه عنه .

ومن هؤلاء الدهاة «المغيرة بن شعبة» الذى اعتزل الفريقين من مطلع الفتنة إلى يوم التحكيم ؛ فلما اجتمع الحكمان علم أنها الجولة الأخيرة فى الصراع ، فخرج عن عزلته ، ودنا ليستطلع الأمور على سنة الدّهاة من أمثاله ؛ إذ يتنسمون الريح قبل هبوبها ، ولا يقلقون أنفسهم . بمهبها قبل أوانها ، فَلَقِىَ أبا موسى وعمرو ابن العاص، ثم ذهب إلى معاوية وهو مشغول البال بطول الاجتماع بين الحكمين ، واضطراب الظنون فيما وراء هذا الإبطاء المريب !

فقال له : وهو يرى اشتغال باله : قد أتيتك بخبر الرجلين . قال معاوية : وما خبرهما ؟

قال المغيرة : إنى خلوت بأبى موسى لأبلوَ ما عنده ، فقلت : ما تقول فيمن اعتزل عن هذا وجلس فى بيته كراهية للدماء ؟

فقال : أولئك خيار الناس ، خفّت ظهورهم من دماء إخوانهم ، وبطونهم من أموالهم .

فخرجت من عنده ، وأتيت عمرو بن العاص ، فقلت : ياأبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذه الحروب ؟ فقال : أولئك شرار الناس ؛ لم يعرفوا حقاً ، ولم ينكروا باطلاً .

ثم عقب المغيرة قائلاً، أنا أحسب أبا موسى خالعاً صاحبه، وجاعلها لرجل لم يشهد ، وأحسب هواه فى عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وأما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذى عرفته ، وأحسبه سيطلبها لنفسه ، أو لابنه عبد الله ، ولا أراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه .

وقد أحسن المغيرة حَزْرَهُ نقل الحرف بالحرف فى تقدير نية الرجلين ؛ فإنهما ما اجتمعا هنيهة حتى أقبل أبو موسى على عمرو يقول له :

ياعمرو ، هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله ؟! قال : وما هو ؟ قال : نولى عبد الله بن عمر ؛ فإنه لم يُدخل نفسه فى شيء من هذه الحروب .

فراغ عمرو قليلاً يحاول أن يلقى فى روع صاحبه أنه يريد معاوية ، ثم عاد يسأله : فما يمنعك من ابنى عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته ؟ فأوشك أبو موسى أن يجيبه لولا أنه قال :

إن ابنك رجل صدق ، ولكنك غمسته فى هذه الحرب غمساً !!

وتكرر هذا القول وأشباهه فى كل لقاء حتى وقر فى خلد الأشعرى أن خلع الزعيمين أمر لا مناص منه ولا اتفاق بينهما على غيره، فتواعدا إلى اليوم الذى يعلن فيه هذا القرار!

وتقدم أبو موسى آنئذ فقال بعد تمهيد : «أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه ، وهو أن «نخلع عليًّا ومعاوية» ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإنى قد خلعت عليًّا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا» .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد : «... إن هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية ، فإنه ولى عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه» .

وهكذا كانت المأساة ، فلم يفض اجتماع الحكمين إلى اتفاق وعاد الخلاف إلى ما كان عليه بل استشرى واحتدم بما زاد عليه من فتنة الخوارج .

▣ معاوية يستعين بالمغيرة على زياد ! ▣

كان زياد عاملاً لعلى بن أبى طالب على فارس ، فلما مات على ، وبايع الحسن معاوية «عام الجماعة» بقى زياد بفارس، وقد ملكها وضبط قِلاعها، فاغْتَمَّ به «معاوية» ، فأرسل إلى «المغيرة بن شعبة» فلما دخل قال : «لكل نبأ مُسْتَقَرّ ، ولكل سِرٍّ مُسْتَوْدع ، وأنت موضع سرى وغاية ثقتى !» .

فقال المغيرة : ياأمير المؤمنين ، إن تستودعنى سرَّك تستودعه ناصحاً شفيقاً وَرِعاً صَدِيقاً . فماذاك ياأميرَ المؤمنين ؟! قال : ذكرتُ زياداً واعتصامَه بأرض فارس، ومقامه بها وهو «داهية العرب» ، ومعه الأموال، وقد تَحَصّنَ بأرض فارس وقِلاعها ، يدبّر الأمورَ ، فما يؤمننى أن يبايعَ لرجل من أهل هذا البيت فإذا هو قد أعادها جذعة[1] !

قال له المغيرة : أتأذن لى فى إتيانه ؟

قال : نعم .

فلما دخل عليه ، وجده وهو قاعد فى بيتٍ له مُسْتَقْبِلَ الشمس ، فقام إليه «زياد» ، وسُرّ بقدومه ، وكان له صديقاً ، فلما تفاوضا فى الحديث ، قال له «المغيرة» :

أعلمت أن «معاوية» استخفّه الوجل[2] حتى بعثنى إليه ، ولا نعلم أحداً يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع «معاوية» ، فخذ لنفسك قبل التوطين ، فيستغنىَ عنك معاوية قال : أشِر علىّ ، وارم الغرض الأقصى ؛ فإن المستشار مؤتمن .

قال : أرى أن تصل حبلك بحبله ، وتسير إليه ، وتعير الناس أذناً صماء ، وعيناً عمياء .

قال : يابن شعبة : لقد قلت قولاً لا يكون غرسه فى غير منبته ، لا أصل له

---

(١) الجذعة : الشابة الحدثة . والمراد : يشعلها من جديد قوية عنيفة .

(٢) استخفه الوجل : خفّت حالُه منه . والوجَل : الفزع والخوف .

يغذيه ، ولا ماء يسقيه ، كما قال زهير :

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ[1] إلا وشيجُه وتُغْرس إلا فى منابتها النخل

ثم قال : أرى ، ويقضى الله .

◄ المغيرة وأحلام الخوارج :

لم تتحقق أحلام الخوارج حين شمر «المغيرة» عن ساعد الجد للتنكيل بهم ، واستئصال شأفتهم بما عرف عنه من الدهاء والمكر ، ولا غرو فهو رابع أربعة عرفوا بالدهاء ، وهو الذى قيل فيه :

لو كان الدهاء له ثمانية أبواب استطاع المغيرة أن يخرج منها كلها !

ويقول المؤرخون : إنه عندما سار الخوارج إلى الكوفة ودخلوها كان من حسن حظهم أن كان عليها المغيرة بن شعبة، فقد كان حسن السيرة يكره إراقة الدماء ، ولم يتدخل فى شئون الخوارج الذين اجتمعوا فى ذلك الوقت فى دار «حيان بن ظبيان السلمى» الذى آلت إليه زعامة الخوارج ؛ حيث ولوا أمرهم المستورد بن عَلفة التيمى، واتفقوا أن يكون خروجهم للثأر فى غرة شعبان سنة ٤٣ هـ[2] .

فلما علم المغيرة بأمرهم شدد فى طلبهم ، وعول على القضاء عليهم قبل أن يشتد خطرهم ، فقبض على جماعة منهم من بينهم حيان بن ظبيان ، ومعاذ بن جوين الطائى ، وأودعهم السجن[3] . وضيق على إخوانهم حتى غادروا الكوفة ، وأخذوا ينتقلون فى البلاد لا يَلْوُون على شىء .

ثم ساروا إلى «الصّراة» (قرب بغداد) ، ومنها إلى «بَهُرَسِير»[4] . ولما علم المغيرة بمسيرهم جمع لقتالهم جيشاً من الشيعة يربو على الثلاثة آلاف ، وأمر عليه «معقل بن قيس الرياحى»[5] من كبار الشيعة ، فأدرك الخوارج بالمذار[6] وتابعهم

---

(١) الخطّىّ : الرمح . ينسب إلى الخطّ . بلد تقوّم به الرماح ببلاد البحرين .
والوشيج : ما نبت من القنا والقصَب ملتفًا .

(٢) الطبرى [جـ ٦ ص ١٠٠] .

(٣) الطبرى : [جـ ٦ ص ١٠٤] .

(٤) بفتح الباء وضم الهاء وكسر السين من نواحى سواد بغداد قرب المدائن .

(٥) الطبرى [جـ ٦ ص ١٠٨ ـ ١١٨] .

(٦) بين واسط والبصرة .

على مقربة من «ساباط» حيث قتلهم عن آخرهم .

◄ موقفه من الشيعة :

خمدت روح التشيع فى نفوس أهل الكوفة ، وانضووا تحت لواء «معاوية» الذى أصبح صاحب السلطان على إثر نزول الحسن له عن الخلافة ، ومغادرته الكوفة إلى المدينة لكن سياسة السب على المنابر أثارت «حجر بن عدى» الذى ظل على سياسته العدوانية ضد سلطان بنى أمية حتى مات المغيرة ، فأسندت ولاية الكوفة إلى «زياد» فكان له مع حجر شأن آخر .

سياسة المغيرة فى حكم الكوفة

لم يرض معاوية عن سياسة المغيرة فى حكم «الكوفة» وخاصة أنه تساهل مع الثائرين من أحزاب «الشيعة» و «الخوارج» ؛ فقد كان المغيرة ـ كما ذكرت من قبل ـ يميل إلى السلام والموادعة !

وأراد «معاوية» أن يعزله عن حكم الكوفة ! وحاول المغيرة أن يثنى معاوية عن غرضه ، فراح يفكر كيف يحتفظ بولاية الكوفة !!

وكان للداهيتين لقاء !!

تُرى أى الداهيتين كان له الغلبة ؟!

وهل كانت الصفقة متكافئة ؟!

المهم أن دهاء المغيرة أعفاه من العزل ، فكيف كان ذلك ؟!

دهاء المغيرة يُعفيه من العزل عندما كبرت سنه !

كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف العزل :

أما بعد ؛ فإنه قد كبرت سنى ، ورق عظمى ، واقترب أجلى ، وسفّهنى سفهاء قريش ، فرأىُ أميرِ المؤمنين فى عمله مُوَفّق .

فكتب إليه معاوية : أمّا ما ذكرت من كبر سنك فإنك أكَلَتْ سنَّك عمُرك .

وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ؛ فإنى لو كنت أستطيع أن أدفع المنية لدفعتها عن آل أبى سفيان .

وأمّا ما ذكرت من سفهاء قريش ، فإن حلماء قريش أنزلوك هذا المنزل .

وأما ما ذكرت من العمل فضحّ رويداً[1] يدرك الهيجا حمل[2] .

فاستأذن معاوية فى القدوم ، فأذن له ، قال الربيع بن هذيم : فخرج المغيرة ، وخرجنا معه إلى معاوية ، فقال له :

يامغيرة ، كبرت سنُّك ، واقترب أجلُك ، ولم يبق منك شيء ، ولا أظننى إلا مستبدلًا بك .

قال : فانصرف إلينا ونحن نعرف الكآبة فيه !

فقلنا : ما تريد أن تصنع ؟

قال : ستعلمون ذلك .

فأتى معاوية ، فقال :ياأمير المؤمنين ، إن الأنفسَ يُغْدى عليها ويُراح ، ولست فى زمن أبى بكر ولا عمر ، وقد اجترح الناس ، فلو نصبت لنا عَلَماً من بعدك نصير إليه ، مع أنى كنت قد دعوت أهل العراق إلى «يزيد» فركبوا إليه ، حتى جاءنى كتابك . قال : ياأبا محمد ، انصرف إلى عملك فأَحْكِم هذا الأمر لابن أخيك .

قال : فأقبلنا على البريد نركض ، فقال :

ياربيع ، وضعت ــ واللهِ ــ رجله فى ركاب طويل الغىّ على أمة محمد .

قال : فذاك الذى دعا معاوية إلى البيعة ليزيد[3] .

---

(١) أراد : ارفق بنفسك ؛ وأصل المثل : أن العرب كانوا يسيرون فى سفرهم ، فإذا مروا ببقعة فيها كلأ قالوا : ضحّوا رويداً ، أى ارفقوا بالأبل حتى تتضحّى . أى تتغذى . اللسان .

(٢) هذا مثل . والمراد بحمل : حمل بن بدر ، وفى تاج العروس والعقد الفريد :

لبث قليلاً يدرك الهيجاحمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

(٣) العقد الفريد : [٩٨/١] .

وهكذا كان المغيرة صاحب فكرة تحويل الخلافة من نظام الشورى إلى نظام الوراثة ، ذلك النظام الذى لقى معارضة شديدة من المسلمين فى تلك الفتره !، ربما لأن «معاوية» كان قد تعهد للحسن بن على أن يتولى الخلافة بعده ، وكانت تولية يزيد الخلافة بعد معاوية بطريق الوراثة سبباً فى وقوع الأحداث السياسية العديدة بعد .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد التقى الدهاة الثلاثة : معاوية ،وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطأ الأخيران على أمرٍ يريدان شرًّا ، بينما كان معاوية يفكر فى عزلهما !

وإنه لمن الممتع أن نعرض علىَ القارىء الكريم صورة من صور الدهاء على أعلى مستوى ليرى ماذا يفعل الدهاء !!

◄ قصة ثلاثية :

كتب معاوية إلى «عمرو بن العاص» ، و «المغيرة بن شعبة» أن يَقْدما عليه ، فقدِم عمرو من مصر ، والمغيرة من الكوفة ، فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلَنا ، فإذا دخلتَ عليه ، فاَشْكُ الضعف ، واستأذنْه أن تأتى «الطائف» أو «المدينة» ؛ فإنى إذا دخلتُ عليه سألته ذلك ؛ فإنه يظن أنّا نريد أن نُفْسِدَ عليه .

فدخل المغيرة ، فسأل أن يُعْفيَه ويأذنَ له .

ودخل عليه عمرو ، فسأله مثل ذلك !

فقال له معاوية : قد تواطأتما على أمر ، وإنكما لتريدان شراً !!

ارجعا إلى عمليكما .

المغيرة يخرج من مأزق !

استعمل عُمَرُ المغيرة بن شعبة على البحرين ثم عزله ، فقال دهقان[1] القرية لأهلها ـ وكان مُطَاعاً فيهم :

اجمعوا لى مائة ألف درهم آتى بها عمرَ ففعلوا ، فقال عمر : ما هذا ؟

قال : هذا أودعَناه المغيرة .

فقال عمر للمغيرة : ما هذا ؟ قال : إنها مائتا ألف درهم .

فقال للدِّهقان : قد تسمع .

فقال : والله ماأودعَنا شيئاً ، إلا أننا خِفْنا أن تردَّه إلينا !

فقال عُمَرُ للمغيرة : مادعاك إلى ماقلت ؟

قال : أحببت أن أُخْزِيَه إذْ كذب على !

◄ من حيل المغيرة !

خرج المغيرة بن شعبة مع النبى ـ ﷺ ـ فى بعض غزواته ، وكانت له عَنَزَة[2] يتوكأ عليها ، فربما أثقلته ؛ فيرمى بها على قارعة الطريق ، فيمر بها المارّ فيأخذها ، فإذا صاروا إلى المنزل عرّفها ، فأخذها المغيرة .

ففطن له علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ فقال : لأخبرنّ النبى ـ ﷺ ـ ؛ فقال : لئن أخبرته لا تَرَدّ ضالّة بعدها .. فأمسك .

---

(١) الدهقان : رئيس الإقليم . فارس معرب .

(٢) العَنَزَة : بفتح العين والنون رُميح بين العصا والرمح . القاموس .

أول من رشا فى الإسلام !

◄ قال البغوى :

حدثنى حمزة بن مالك الأسلمى ، حدثنى عمى شيبان بن حمزة ، عن دويد ، عن المطلب بن حنطب قال : قال المغيرة : «أنا أول من رشا فى الإسلام !، جئت إلى «يرفأ» حاجب عمر ، وكنت أجالسه ، فقلت : خذ هذه العمامة فالبسها ، فإن عندى أختها ، فكان يأنس بى ، ويأذن لى أن أجلس من داخل الباب ، فكنت آتى فأجلس فى القائلة ، فيمر المارّ فيقول : إن للمغيرة عند عمر منزلة ، إنه لَيَدْخل عليه فى ساعة لا يدخل فيها أحد[1] !

◄ أبو عيسى :

وذهب البغوى من طريق زيد بن أسلم ـ أن المغيرة استأذن على عمر ، فقال : أبو عيسى .

قال : من أبو عيسى ؟! قال : المغيرة بن شعبة . قال : فهل لعيسى من أبٍ ؟

فشهد له بعض الصحابة أن النبى ـ ﷺ ـ كان يكنيه بها ، فقال : إن النبى ـ ﷺ ـ غُفِرَ له ؛ وإنا لا ندرى ما يفعل بنا ، وكنّاه أبا عبد الله .

◄ أول من خضب بالسواد !

أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس ، وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه !

جماله :

يقول أبو الفرج الأصفهانى :

كان الجمال بالكوفة ينتهى إلى أربعة نفر :

١ ـ المغيرة بن شعبة .

---

(١) وهى ساعة القيلولة حيث يستريح كل من شدة الحر .

٢ – وجرير بن عبد الله .
٣ – والأشعث بن قيس[١] .
٤ – وحُجر بن عدى[٢] .
وكلهم كان أعور .

◄ الغلام الذى خدع المغيرة بن شعبة !

قال المغيرة بن شعبة : ما خدعنى غير غلام من بنى الحارث بن كعب ؛ فإنى ذكرتُ امرأة منهم فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها .

قلت : ولِمَ ؟ قال : رأيت رجلاً يقَبّلها ! فأضربت عنها ، فتزوجها الفتى !

فأرسلت إليه : أَلَمْ تُعْلِمْنى كذا وكذا من أمرها ؟! قال : بلى . رأيت أباها يُقبلها[٣] .

المغيرة وزوجته فارعة !

دخل المغيرة بن شعبة عَلى زوجته «فارعة» فوجدها تتخلل حين انفلتت من صلاة الغداة !

فقال لها : إن كنت تتخللين من طعام البارحة فإنك قذرة ! وإن كان من طعام اليوم فإنك لَنَهمة .. كنت فبنت ! قالت : والله ما فرحنا إذ كُنّا ، ولا أسفنا إذْ بنّا ، وما هو بشيء مما ظننت !

ولكنى اسْتَكْت فأردت أن أتَخَلّل بسواك !

فندم المغيرة على ما بدر منه ، فخرج أسفاً ، فلقى يوسف بن أبى عقيل ؛ فقال له : هل لك إلى شيء أدعوك إليك ؟!

قال : وما ذاك ؟

---

(١) الأشعث بن قيس أمير كِندة فى الجاهلية والإسلام .
(٢) حجر بن عدى صحابى شهد القادسية ، ثم كان من أصحاب على وشهد معه وقعتى الجمل وصفين . حذره زياد بن أبى سفيان من الخروج على بنى أمية فناوأهم سرًا فجيء به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فى مرج عذراء مع أصحاب له [الأعلام : ج ٢ ص ١٦٩] .
(٣) عيون الأخبار : [٢/٢٠٠] ، ومحاضرات الأدباء : [٢/١٢٠] .

قال : إنى نزلت الساعة عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجْها ؛ فإنها تنجب لك !

فتزوجها فولدت له الحجاج بن يوسف .

◄ المغيرة والنساء !

لله درك يا ابنة النعمان !

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر وهى بدير هند[1]، متنصرة عمياء بنت تسعين سنة ! فقالت له :

من أنت ؟

قال : أنا المغيرة بن شعبة .

قالت : أنت عامل هذه المدَرة ؟ (تعنى : الكوفة) .

قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟

قال : جئتك خاطباً إليك نفسك .

قالت : أما والله لو كنت جئت تبغى جمالاً ، أو ديناً ، أو حَسَباً لزوجناك !

ولكنك أردت أن تجلس فى مَوْسم من مواسم العرب فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ، وهذا أمر لن يكون أبداً ! أو ما يكفيك فخرا أن تكون فى ملك النعمان وبلاده تديرهما كما تريد ؟! وبكت !!. فخرج من عندها يخفى حنين بعد أن أدركَتْ ما منى نفسه به !!

◄ المغيرة مزواجـاً :

ويقول محمد بن سلام الجمحى :

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهن ثلاث بنات لأبى سفيان ابن حرب ، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبى وقاص ، وهى أم ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

---

(١) هو دير بنته هند وفاء بعهد أخذته على نفسها إن أفرج كسرى عن أبيها بعد حبسه أن تبنيه وتسكنه حتى تموت .

◄ المغيرة مطلاقاً !

وقال أبو اليقظان :

كان المغيرة مطلاقاً ، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنى رجل مطلاق ، فَاعْتَدِدْن .

◄ الرجال والنساء فى رأيه :

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوّام عليها . ورجل مؤنث ، وامرأة مذكرة فهى قوّامة عليه . ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوَعِلين ينتطحان . ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ، ولا يفلحان .

◄ إرضاء النساء :

قال : ملكت النساء على ثلاث طبقات : كنت أرضيهن فى شبيبتى بالباه[1] . فلما شبت أرضيتهن بالمداعبة والمفاكهة . فلما كبرت أرضيتهن بالمال[2] .

◄ أثر المعرفة !

قيل له : إن بوابك يأذن لأصحابه قبل أصحابك .

فقال : إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ! ، والجمل الصئول ، فكيف بالرجل الكريم[3] ؟!

◄ مَنِ السِّفْلة فى رأيه ؟

قال : السّفلة من لا يبالى ما قال ، ولا ما قيل له !، ولا ما فعل ، ولا ما فعل به !

---

(١) الباه : الجماع .

(٢) فى المحاسن والأضداد/١٦٨ : حصنت تسعين امرأة ، ما أمسكت واحدة منهن على حب ، فكنت أرضيهن بالباه شاباً ، فلما شبت وضعفت استرضيتهن بالعطية .

(٣) فى المحاسن والمساوىء [١ : ٢٦٣] أن القول لزياد . وسنبه صاحب نثر الدر للمغيرة .

◄ التعجب ظاهرة صحية :

وكان يقول : لايزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب !

◄ صورة خِلْقيّة للمغيرة :

قال محمد بن سعد : كان المغيرة أصهب[1] الشعر جداً . أكشف[2] .

يفرق رأسه قروناً أربعة . أقلص الشفتين مهتوماً[3] . ضخم الهامة ، عبل الذراعين[4] ، بعيد ما بين المنكبين . أعور .

(١) أصهب : فى شعره حمرة أو شقرة .

(٢) الأكشف : الذى يضحك حتى تنقلب شفتاه وتبدو مغارس أسنانه .

(٣) تنكسر ثناياه من أصولها .

(٤) ضخم الذراعين غليظهما .

◘ والفضل ما شهدت به الأعداء ! ◘

مصقلة بن هبيرة من بكر بن وائل قائد من الولاة ، كان من رجال على بن أبى طالب ، وتحول إلى معاوية بن أبى سفيان فكان معه فى صفين ، ولّاه معاوية طبرستان فتوغل فيها وأهمل «خط الرجعة» فقتل وهو عائد .

كان بينه وبين المغيرة تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع فى كلامه ، حتى طمع فيه مصقلة ، واستعلى عليه فشتمه ، فقدمه المغيرة إلى شريح وهو القاضى يومئذ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ ، فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها «المغيرة ابن شعبة» ما دام حيًّا !

وخرج إلى بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة ، ثم دخل الكوفة ، فتلقاه قومه ، وسلموا عليه ، فلما فرغ من التسليم سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها ، فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟

قالوا : ظننا أنك تريد أن ترجم قبره !

فقال : ألقوا ما فى أيديكم ، فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ثم قال : والله لقد كنت نافعاً لصديقك ، ضارًّا لعدوك ، وما مثلك إلا كما قال مهلهل فى أخيه كليب :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا مِغلاق[1]
حية فى الوِجار أربدُ لا ينـ ـفع منه السليمَ نفثُ الراقى

ويروى الشعبى أن مصقلة قال له : والله إنى لأعرف شبهى فى عروة ابنك فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحد .

---

(١) الرجل المغلاق : شديد الخصومة ، والمغلاق : اللسان البليغ .